



## العرب : رقم عسكري وصف سياسي

بقلم :

هاشم المكي (مصطفى حامد)

المصدر:

مافا السياسي (ادب المطاريد)

[www.mafa.world](http://www.mafa.world)

لم تخل جعبة الشعب الأفغاني من المكاسب السياسية بعد أربعة عشر عاماً من قتاله ضد الشيوعية , وإن

كان يعيش الآن بلا حكومة في دولة مهددة بالتمزق , وفي ظل حرب أهلية تدمر العاصمة وتحصد أرواح الآلاف ولكنه على الأقل يعيش الآن بلا نظام شيوعي. كشعب حروم محتفظ بإسلامه .. ويشعر بالعزة والفخر لكونه حقق إنجازاً غير مسبوق في تاريخ العالم المعاصر.

ولكن ما هو الحال بالنسبة للعرب الذين شاركوا في جهاد أفغانستان ؟

لقد شارك مسلمون من شتى بقاع الأرض في الحالة الجهادية الأفغانية وأثروا فيها وتأثروا بها , ولكن المشاركة العربية اكتسبت طابعاً خاصاً .. وقيمة مخالفة لكافة المشاركات الأخرى حتى أنها - في لحظات محدودة - خطفت الأبصار فعلاً حتعن الدور الجهادي الأفغاني نفسه.

لقد عاد العرب في أفغانستان إلي السلاح في ساحات الصراع العسكري العنيف وتحت راية الجهاد وهتافات " الله أكبر " . وقد أحيوا ذلك الالتحام ذكريات الصدر الأول والريادة العربية للإسلام , دعوة و جهاداً , وكان الأفغان في شوق لهذا الدور .. ولم يكن العرب أقل شوقاً .. ولكنهم كانوا أبعد ما يمكن عن القدرة على ممارسته بالشكل اللائق , ومع ذلك كان دوراً تاريخياً مشرقاً .. على وجه العموم.

افتقد العرب في أفغانستان إلي ما يفقده الأفغان أنفسهم من مقومات العمل الجهادي الناجح .. افتقدوا القيادة وافتقدوا التنظيم . وظهروا في ذلك الجانب في صورة أشد تخلفاً عن صورتهم في حرب فلسطين , فلم تشهد أفغانستان حسن البناء ولا شهدت الإخوان المسلمين.

وخسر بذلك التواجد العربي والجهاد الأفغاني عنصراً ذو قيمة إستراتيجية فائقة .. وكان ذلك بالتحديد جزء من صفقة إخوان العصر الحالي " الدوليون " مع الأنظمة المحلية في مصر وباكستان وجزء من الاتفاق الضمني مع الولايات المتحدة , لقد قالها الإخوان المعاصرون صراحة : وداعاً للسلاح.

لقد جاهد الإخوان المعاصرون بتوزيع الأحذية والبطانيات على الأفغان وتركوا خنادق القتال لغيرهم .. لقد مارسوا دور ( الخدمات الثابتة ) الذي يؤخذ إليه المعاقون والعاجزون عن القتال والمشكوك في ولائهم في الجيوش النظامية .. وكل هذا إرضاءً للحكومات العميلة .. ( إذا وافقت الحكومة إننا نقاتل يبقى نقاتل!!! ) ..

كما قال كبيرهم عند زيارته اليتيمة لبيشاور.

رحم الله حسن البناء فقد قرعت أجراس الكنائس احتفالاً بقتله لأنه أخذ مبادئه معه إلى القبر...

لقد تعمدت الولايات المتحدة وحلفاؤها العرب والباكستانيون إغراق الجهاد الأفغاني في دوامة عاتية من الفوضى . واهتموا بشكل خاص بإغراق التواجد العربي في نفس المستنقع وحرصوا على: ألا يستفيد العرب عسكرياً, ألا يستفيد العرب تنظيمياً, ألا يفهم العرب أبعاد الصراع سياسياً, ألا يكون دور المجاهدين العرب مؤثراً في نتائج القتال.. وإن ظهر لهم دور مؤثر في بعض الأحيان فيجب طمس هذا الدور والتعتيم عليه . وللأسف كان القادة الأفغان مشاركين في هذه المؤامرة.

- وظل التدريب العسكري شبه محظور على العرب المجاهدين لعدة سنوات, ثم بدأ رمزياً لسنوات أخرى - ثم اتخذ شيئاً من الجدية في العامين الأخيرين.

- أما تنظيمياً فقد شكلت أجهزة المخابرات العربية, خاصة السعودية , أوعيه العمل العربي ووسائله وأشخاصه ومؤسساته . ثم وجهته في دهاليز مجدبة عقيمة , لا تفيد المجاهدين لا عرباً ولا أفغاناً.

من الناحية الفكرية لم تشهد حركة مماثلة في العالم حالة من الإجداب الفكري كما شهده الجهاد الأفغاني. فلم يصدر كتاب واحد ذو قيمة إبداعية في أي منحى. وذلك بالنسبة للأفغان والعرب على حد سواء . كما شمل ذلك الجانب العسكري أيضاً . فلم تظهر كتابات عسكرية ذات قيمة طوال هذه الحرب رغم مئات

المعارك الهامة.

و رغم تلك الإحتياطات استطاع التواجد العربي في أفغانستان أن يخترق طوق الحصار المفروض حوله.. ولو جزئياً فاستطاع بعضهم أن يتعلموا الكثير بمجهوداتهم الفردية، وشاركوا جماعياً في معارك كانوا فيها نجوماً لامعة واستطاعوا - بدون أن يدركوا ذلك - أن يفسدوا بعض المخططات الدولية التي تآمرت في ساحات القتال.

1 - فقد لعبوا دور البطولة المطلقة في معركة جاجي 1987 م التي كانت المعركة التي اصطدم فيها العرب مع الروس مباشرة لأول مرة.

2- وكانوا العنصر الأهم في معارك جلال آباد منذ أن اندلعت في مارس 1989 م وحتى فتح كابول في إبريل 1992 م وأفسد ذلك التواجد - بدون أن يدروا - المخطط المرسوم لتلك المعركة ، التي كان من المفروض أن تكون هزيمة عسكرية يعقبها انهيار سياسي تواطأت فيه قيادات الأحزاب الجهادية في بيشاور مع أجهزة مخابرات دولية وإقليمية . لقد منع العرب في جلال آباد أن يتحول الموقف إلى كارثة مدوية.

3 - وشارك التواجد العربي بجدارة في معارك خوست قبل وبعد فتح المدينة في مارس 1991 ثم معارك جارديز التي تلتها في أكتوبر من نفس العام.

هذه أبرز المشاركات العربية عسكرياً حيث قاتلوا بأعداد كبيرة نسبياً . وأثبتوا حضوراً بارزاً في الميدان القتالي . مع هذا فقد قاتل العرب إما فرادى أو في مجموعات صغيرة في كل أنحاء أفغانستان تقريباً. وفقد الشباب العربي ما يقارب الخمسمائة شهيد طويل سنوات مشاركتهم الجهادية في أفغانستان.

\* كما أن تسمية الجهاد الذي تم في أفغانستان باسم (الجهاد الأفغاني) كان وسيلة أمريكية ناجحة للحديث عن جرائم الشيوعية، وما أسال الشعب الأفغاني، ودور الأمم المتحدة وأمريكا في مساعدته، وإبرازهم فرسان بيشاور وصناديدها من قادة الأحزاب الأفغانية، وفي نفس الوقت إخفاء البطولات القتالية، التي أظهرها المجاهدون العرب أفراداً ومجموعات، ودورهم الكبير جداً في الحفاظ على الروح المعنوية للأفغان أنفسهم الذين أتهزت معنوياتهم كثيراً لما رأوه من فساد أهلبيشاور، والمتاجرة بدماء المقاتلين. إن هذه الأمور لم يسمع بها أحد ولم يعرفها إلا الذين عانوها بأنفسهم فقط.

ويأتى السؤال .. وماذا كسب العرب سياسياً من مشاركتهم القتالية:

والجواب: لا شيء بل أنهم خسروا.. وما زالوا.

- وفي لحظة فتح كابول أدرك المجاهدون العرب أنهم هزموا سياسياً، فالهدف الذي جاءوا لأجله قد تبخر مثل السراب.

لقد حضروا لإقامة دولة الخلافة.. وتخللوا شخصية الخليفة فواحد من اثنين من (القادة الأصوليين) من جناح الإخوان.

لكنهم فوجئوا بانغماس هؤلاء في الحرب الأهلية والتحالفات المشينة مع الشيوعيين في سباق مجنون نحو السلطة.

انسحب معظم العرب من كابول بعد أيام من الفتح وبقي آخرون يقاتلون في صف هذا أو ذاك ممن كانوا يحلمون بهم في أدوار "سيدي الخليفة". ذلك الاستمرار القتالي يعود لأسباب نفسية بحتة - وإن اكتسى بصبغة دينية هشة- لقد رفضوا تصديق الكارثة.. فظلوا يتخيلون الوهم ويقاتلون الطواحين في كابول.. ويقتلون الأبرياء تحت وهم إحياء الخلافة.

واستغل طواغيت بيشاور وفي كابول الوضع وعزموا على القتال حتى آخر عريبي حوزتهم.

\* انكمش عدد من العرب في معسكراتهم المشتتة في منطقته جلال آباد. ولكن الوالي ورئيس مجلس الشورى

ومعظم الأعضاء بدأوا مزاداً دولياً لبيعهم للنظام الدولي الجديد. وقبضوا الملايين من الولايات المتحدة والأمم المتحدة والسعودية. لقد بدأت حملة دولية ضد "الإرهابيين العرب" في بيشاور وأفغانستان.

وشاركت حكومات عربية بضراوة لاستئصال العرب وإبادة ذلك التجمع. وضغطت حكومات مصر وتونس والجزائر لتسليم رعاياها من العرب لإعدامهم. ودفعت الملايين لوالى جلال آباد ومجلس الشورى هناك لطردهم أو تسليمهم أو .. قتلهم هناك.. ونجحوا أخيراً في التضييق والتصفية. وترك العرب خلفهم ثلاثمائة جثة لشهداءهم في تراب جلال آباد ومداخلها. لم يستطع العرب أن يكتسبوا موطناً قدم في أفغانستان. وفقدوا جلال آباد التي شهدت أكبر تواجد لهم وأعظم خسائر بشرية منوهاً بها في تلك الحرب.

وفقد معظمهم الثقة في الأفغان.. بل والأعاجم.. وأعاد بعضهم حساباته الإسلامية من الأساس. كانت حسابات العرب السياسية خاطئة منذ البداية وظلت كذلك حتى النهاية - وحرّمهم ذلك حتى من الحصول على مكسب سياسي جزئي كإخوانهم المجاهدين الأفغان. لقد كان ممكناً لهم - وما زال - اتخاذ موطنٍ قدم قوى على أرض أفغانستان وبين قبائلها بشرط التواجد الجماعي المنظم. وبدون موطنٍ قدم ومأوى في أفغانستان المحررة بدماء مليوني شهيد سيقع التجمع العربي في برائن النظام الدولي وزبانيته الإقليمية.

لقد انفجرت مجازر الشيوعيين فنيماجيكستان. وأفتقد الشعب الطايجيكي المسلم مساندة العرب المعنوية والقتالية كما فقدوا دعم الأفغان وامكانياتهم القتالية الرائعة.

\* كان يمكن للعرب الحصول على موطنٍ قدم ثابت وقوى في أفغانستان يمارسون فيه دورهم الريادي إسلامياً في وسط آسيا بشكل خاص ثم جنوبها ثم المنطقة العربية عامة، ولكنهم أخطأوا تقييم الأحداث وتقييم الشعب الأفغاني.. ومعطيات الواقع السياسي. وفوق ذلك افتقدوا القيادة الموحدة والتنظيم الجامع فلم يكن للعرب في أفغانستان لا حسن البنا ولا الإخوان المسلمين.

فنحن أمام حالة من فقدان القيادة.. وضياح التنظيم. وجماعات بهذا الشكل تمارس الجهاد المسلح مع غياب كامل عن الفهم السياسي والممارسة السياسية.. مهددة إما أن تصبح مجرد "أحصنه" (أو بغال تحميل حسب بعض التوصيفات).

في اللعبة الدولية.. تقوم البغال بحمل الأثقال الصعبة.. وعندما تنتهي الفائدة منها يطلقون على رؤوسها رصاصات الرحمة.

فهل ما يحدث للعرب في بيشاور الآن - أو العرب الأفغان - كما أطلقوا عليهم في أجهزة القمع الغربية - هي رصاصات من هذا النوع؟

وهل يحاول النظام الدولي الجديد استباق الزمن ويذبح المجاهدين العرب قبل أن يتحولوا إلى طرف كامل الأهلية يتعامل سياسياً بنفس براعته في القتال.. ويومها ستتغير حتماً الكثير من المعادلات..؟

لقد اعتقل مقاتلوا الإخوان المسلمون في فلسطين وأسلحتهم ما زالت في أيديهم. وحاول اليهود إجراء نفس المؤامرة على "العرب الأفغان" في بيشاور وأفغانستان ولكن المحاولة فشلت عدة مرات لأسباب مختلفة. فهل ينجحون في تصفية الزعماء الجهادي الإسلامي الذي تولد عن القضية الأفغانية كما نجحوا مع نظيرة في فلسطين؟

لقد اغتالوا حسن البنا في أعقاب حرب فلسطين واغتالوا معه تنظيم الإخوان المسلمين الذي استشهد هو الآخر في نفس اللحظة مع المرشد العام.

لقد استعصت الظاهرة العربية في أفغانستان على الاغتيال، فلم يكن الدكتور عبد الله عزام هو "بنا" هذه الحركة. ولم يكن ثمة تنظيم يمكن إغتياله مع الدكتور عبد الله عزام.. ولم يظهر هذا التنظيم بعد.

إلى حد ما كانت للهلامية العربية فى بيشاور وأفغانستان فوائدها. ولكنها تبدو وقد استنزفت تلك الفوائد وأعطت ما يكفى من السلبيات التى تهدد الظاهرة الجهادية بأكملها بالضياح الجماعى . فلم يعد يمكنها الاستمرار بغير عبور الحاجز الصعب وتحقيق المستحيلات الثلاث: القيادة.. والتنظيم ..والسياسة. ولا يستطيع أشد الناس حماساً أن يدعى بأن تلك الحركة قادرة حالياً على تحقيق المستحيل.

ببشاور

فى رمضان 1413هـ\_ مارس 1993 م

بقلم :

هاشم المكي (مصطفى حامد)

المصدر:

مافا السياسى (ادب المطايرد)

[www.mafa.world](http://www.mafa.world)